رسائل ثقافية

الجمهورية العربية المتحدة : من نادية لويس

تستهل القاهرة الموسم الثقافي الجديد بأخطر مشروع تقدم به المجلس الاعلى للآداب والفنون لانشاء « المكتبة العربية » ، وهو المشروع الذي يستهدف تحقيق التراث العربي ونشره ، وترجمة مختارات من الفكر العربي الى اللغات الاجنبية الحية ، وترجمة مختارات من نتاج الفكر الاجنبي الى اللغة العربية ، ووضع مؤلفات في الموضوعات التي لا تزال المكتبة العربية بحاجة الى التأليف فيها . وقد اقرت لجنة النشر بالمجلس الاعلى القواعد العامة التي تجري عليها عملية تحقيق التراث ونشره . ومن هذه القواعد ان يراعى اختيار الكتب التي تحقق ان تكون الاولوية فيها للمخطوطات التي لم يسبق نشرها او نشرت غير محققة ، ثم الكتب التي نشرت محققة في نطاق محدود او يتعذر تداولها في العالم العربي ، والكتب التي نفدت طبعاتها. ثم وضعت اللجنة منهجاً للتحقيق تختار على اساسه احدى النسخ لاتخاذها اصلاً يدور عليه التحقيق لكونها بخط المؤلف او كمقروء عليه او منقولة عن نسخة او مكتوبة في عصره او ما يشبه ذلك من المرجحات . واختارت اللجنة دواوين زهير بن ابي سلمى والنابغة الذبياني وحسان بن ثابت وعمر بن ابي ربيعة والاخطل وابن المعتز والشريف الرضي والبهاء زهير وابن سناء الملك والبارودي واحمد محرم وابن نباتة المصري وابن الرومي . وفي النثر اختارت مجموعة من اهم الكتب القديمة ، واقترحت للتحقيق ألمع الاسماء القادرة على حماية تراثنا من الزيف . وفي الفنون الشعبية أوصت اللجنة بنشر ازجال ابن قزمان ، وهو زجال عاش في الاندلس في القرن السادس الهجري ونشر عدداً من الازجال التي حفظت في المخطوطات العربية وخاصة في العهد المملوكي والعثماني في مصر ، وجمع الصور التي تشتمل عليها المخطوطات العربية القديمة مما يحمل سمات شعبية ، كالصور التي توجد في كتب السحر والحيوان وكتب السير والنوادر والقصص وتخرج في « ألبوم » مصور بالالوان مع شرح له . واهتمت لجان التاريخ والآثار والجغرافيا بالتراث القديم . كذلك كان نصيب الفلسفة والاجتماع والتربية وعلم النفس والقانون والعلوم السياسية والموسيقى ، ان يتم الاهتمام بنشر كل ما يتعلق بتراثنا القديم فيها ان وجد ، وتراث العالم القديم اذا لم يوجد شيء آخر .

اما في المسرح ، فقد اقترحت اللجنة نشر النصوص المسرحية للروايات التي قدمت على المسرح المصري منذ دخل فن التمثيل مصر دون ان تطبع او نفدت طبعاتها . ويبدأ ذلك منذ ظهور يعقوب صنوع اول رائد لفن التمثيل العربي ثم ما تلاه من عهود مسرحية تعتبر في حكم التراث حتى العصر الحديث . بالاضافة الى ما كتب عن فنون المسرح من مؤلفات قديمة غير معروفة او كانت امتداداً له في الوقت الحالي ، وذلك لاحيائها عن طريق نشرها .

وتضمن المشروع عدة موضوعات للتأليف منها الشعر الصوفي والشعر السياسي المصري في العصر الحديث من القرن التاسع عشر حتى منتصف العشرين . وفي النثر : نظريات النقد العربي ، ادب البطولة عند العرب ، ادب الرواية ، نظريات الاستشراق ، التقريب بين العربية والعامية ، النزعة الانسانية في التفكير العربي ، معجم الفكر الاسلامي ، الثورات الفكرية ، معالم الحضارة العربية ومواطنها . كذلك : القصة المصرية القصيرة منذ نشأتها الى الآن ، المسرحية المصرية ، الرواية المصرية ، دراسات نقدية للتعريف بالقصاصين المصريين حسب المنهج التاريخي للفن القصصي .

واقترحت لجنة الشعر ترجمة مختارات من الشعر العربي الحديث الى اللغتين الانكليزية والفرنسية، وأوصت لجنة النثر بترجمة كتاب « محمد رسول الحرية » لعبد الرحمن الشرقاوي ، ومختارات من ابي العلاء وابي العتاهية، ومسرحية « ايزيس » لتوفيق الحكيم ، وجمهورية فرحات و « ملك القطن » ليوسف ادريس، و« حواء » لمحمد تيمور ، و« مصرع كليوباترة » لأحمد شوقي ، و« سر الحاكم بأمر الله » لعلي احمد باكثير ، و« يا طالع الشجرة » لتوفيق الحكيم . وتضمن المشروع ترجمة بعض الكتب الهامة في اللغتين الانكليزية والفرنسية الى العربية في كافة مجالات المعرفة الفنية والعلمية والاجتماعية .

وأعلن وزير الثقافة الدكتور عبد القادر حاتم ان وزارته رصدت نصف مليون جنيه للبدء في تنفيذ المشروع فوراً . وستقوم الدار القومية والمؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والمجلس الاعلى للآداب والفنون بالتنفيذ. وقد استقبل المثقفون في القاهرة هذا المشروع بأمل كبير في ان يتاح للمكتبة العربية اخيراً ان تلاحق اهتمامات المثقف العربي المعاصر واحتياجاته الفكرية ، وذلك بأن ترتفع الى مستوى اهتمامات العصر واحتياجاته . وسوف يتطلب ذلك الهدف جهداً زائداً من المشرفين على برامج التنفيذ . وقد بدأت الدار القومية فعلاً بنشر سلسلة الاعمال الروائية الفائزة بجائزة نوبل .

وأصدرت الدار القومية ايضاً مجلتي « الرسالة » برئاسة تحرير احمد حسن الزيات و « الثقافة » برئاسة تحرير محمد فريد ابو حديد . وقد فوجىء المثقفون المصريون جميعاً على مختلف مستوياتهم واتجاهاتهم الفكرية ، بأن هاتين المجلتين اللتين أسهمتا في خلق جيل كامل فيما مضى عادتا الى الظهور بنفس الاسلوب والمستوى القديم. ودارت في الصحافة اليومية « معركة » هامة ناقشت هذه المسألة على اوسع نطاق ما دامت المجلتان تصدران باموال الشعب . وكانت الافتتاحية التي صدر بها الاستاذ الزيات العدد الاول ، هي « كبش الفداء » : فقد هاجم فيها الشعر الحديث والقصة الحديثة والمسرح الحديث ، ودمغ كافة الفنون التي تطورت خلال العشر سنوات الاخيرة بانها « خائنة » لروح هذا الشعب وتراثه وتاريخه الطويل . ومن الطريف ان الزيات اشترط في قبوله رئاسة التحرير ان تكون المجلة امتداداً شكلياً وموضوعياً « للرسالة » القديمة ، فلم يكتب على الغلاف « العدد الاول » بل اصر على انه العدد ١٠١٩ تكملة للاعداد السابقة على المجلة ذاتها ، كما اصر على ان يكون الغلاف هو الغلاف القديم نفسه. ثم فوجىء فيما بعد ان آخر اعداد « الرسالة » السابقة كان مرقماً ١٠٢٦ ! هاجم البعض الاستاذ الزيات شخصياً بحجة انه لم يعد قادراً على قيادة الاجيال الشابة من المثقفين الذين يتصلون بالثقافة العالمية مباشرة ، لظروفه الصحية والفكرية معاً ، وهاجم آخرون المستوى الموضوعي للمجلتين قائلين انه لا يدل على ان المشرفين على التحرير يعيشون في عصرنا . وقد دافع الكثيرون عن الزيات وابي حديد بأنهما من جيل الرواد الجدير بكل تقدير واحترام . وكتب ابراهيم نوار في « الجمهورية » انه سمع برواج المجلتين على اثر هذه المناقشات ، ولهذا يعتذر عن العودة الى الموضوع مرة اخرى حتى لا يستمر هذا الرواج !

والمجلتان في واقع الامر يستكتبان عدداً لا بأس به من اساتذة الجامعات والكتاب المحترفين ، وهؤلاء يكتبون في موضوعات هامة كثيرة . وربما كان ضيق الحيز (٤٨ صفحة) والرغبة في حشد اكبر عدد من الاسماء ، هو السبب الرئيسي الذي يحول دون الارتفاع بالمستوى الفكري للمجلتين . والحق ان واحدة منهما لم تفكر في استفتاء واسع للقراء حتى تتعرف على طبيعة المرحلة التي نعيش فيها واحتياجاتها الروحية والعقلية.

وفي الوقت نفسه اسندت مجلة « الكاتب » مهمة الاشراف على تحريرها الى الناقد احمد عباس صالح ، المحرر الادبي لجريدة « الجمهورية » . وصالح ليس ناقداً محترفاً ، فهو يمارس الكتابة السياسية والاذاعية

والتلفزيونية والسينمائية ، وسبق له ان كتب القصة القصيرة . وهو لم يصدر كتاباً واحداً الى الآن ، غير انه احد القلائل الذين يجمعون بين الصحافة والادب بصورة طيبة ، وربما كانت مجلة « الكاتب » هي المجلة الوحيدة التي يربط صفحاتها كلها – في الاعداد الثلاثين التي صدرت منها – خيط واضح واتجاه واحد هو « اليسار » الفكري والادبي والاجتماعي . ولكنه يسار من نوع خاص ، يمكن تسميته باليسار العام ، او اليسار العريض ، الذي لا ينطلق اساساً من الماركسية ، وانما من الفكر الاشتراكي العالمي .

وقد تعرضت « الكاتب » لازمات اقتصادية متلاحقة ، كان من اثرها ان فكر بعض اعضاء وحدة الاتحاد الاشتراكي الخاصة بدار التحرير في اغلاقها وايقافها عن الصدور . ولكن رئيس مجلس الادارة – كمال الدين الحناوي – ومعه قلة من الكتاب والصحفيين وقفوا في وجه هذه الحملة وقدموا مشروعاً مقابلاً ينص على زيادة الميزانية الخاصة بالمجلة حتى تعين لها مراسلين في الخارج والبلاد العربية، كما تستطيع ان تستكتب الادباء العرب خارج الجمهورية العربية المتحدة ، بالاضافة الى حملة اعلانية كبيرة . ويبدو ان المجلس قد وافق على هذه المقترحات ، فلم تتوقف المجلة عن الصدور كما كان المثقفون يتوقعون بقلق بالغ . بل اسندت مهمة الاشراف على تحريرها الى عباس صالح ، الشاب المجتهد الذي يعلق عليه الكثيرون آمالاً كبيرة . ولعله من المفيد ان نذكر في هذا الصدد رأفت الخياط ، سكرتير التحرير الذي اصدر بمفرده الاعداد الثلاثين الماضية. فان نشاطه الحار وعلاقاته الشخصية بالادباء هو السر الحقيقي وراء بقاء « الكاتب » الى الآن بالرغم من الامكانيات المادية الضيقة . فاذا اضفنا نشاط رأفت الخياط الى ما نتوقعه من نشاط عباس صالح ، فاننا نستطيع انتظار مفاجأة طيبة في بداية هذا الموسم . وفي لقاء خاص بين احد النقاد وكمال الحناوي ، صرح هذا الاخير بان هدف « الكاتب » الآن هو الارتباط الجدي الواضح بالحركة الثقافية العالمية والعربية بشكل عام ، والفكر الاشتراكي العالمي بصورة خاصة .

مع بداية هذا الموسم ايضاً ، تثار مشكلة الندوات الثقافية . ففي القاهرة نادي القصة ، وندوة ناجي ، ورابطة الادب الحديث . وكلها منتديات ثقافية تستهدف اصلا التفاعل بين الادباء وآرائهم . ولكن الواقع شيء يختلف تماماً : ذلك ان هذه الجهات تكلف المحاضرين بغير اجر ، ومن ثم فانهم يهربون من وعودهم بالحضور . ماذا يحدث اذاً ؟ يقف البعض ليلقي الشعر او القصة القصيرة او كلمة من هنا او هناك بغير ضابط حقيقي لما يقال ، اللهم الا شغل الوقت . ومن نتائج هذه الفوضى ان الشباب المثقف الجاد لم يعد يرتاد هذه الندوات الا في القليل النادر .

المثقف في الجمهورية العربية المتحدة يفترض في الندوة مجالا للالتقاء والتفاعل ، لا يلتقي فيه بالشباب القاهري فحسب ، بل بالشباب العربي كله والضيوف الاجانب ايضاً . لقد احسست بالعار ان كاتب ياسين زار القاهرة فلم يرافقه سوى شابين تجولا به في خان الخليلي وسيدنا الحسين . وبقية المثقفين يلتقون بضيوفهم في شبرد وسميراميس وهلتون . وهذا شيء سيء للغاية ، لان اللقاء يكون في الاغلب لقاء فردياً يكاد يصبح شخصياً ، فيفقد الادباء المصريون فرصاً كثيرة للحوار الناضج المستمر مع ادباء العالم والمثقفين العرب .

الندوات يجب ان تظل اماكن مفتوحة ليل نهار تستقبل كل مثقف وافد على القاهرة من الصعيد او من بيروت او من نيويورك. عليها ايضاً ان تنفق جانباً كبيراً من ميزانيتها على تكليف المحاضرين لالقاء محاضراتهم، وتخصيص جانب آخر لطبع هذه المحاضرات . عليها كذلك ان تحدد بعض ايام الاسبوع لمناقشة الانتاج العربي الجديد ، واياماً اخرى لمناقشة اعمال الناشئين . ولا ينبغي ان تقف بهؤلاء الناشئين عند حدود المناقشة والتشجيع ، بل من واجب المسؤولين عن الندوات الاتصال بالمشرفين على اجهزة النشر وتقديم الاجيال الجديدة اليهم . اكثر من ذلك ، عليها ان تساهم في عملية النشر بقدر المستطاع .